

القراءات المعاصرة وآليات التجديد في فهم الخطاب القرآني

الطالب : عياد بلمهدي

المشرف: أ.د. / محمد زيوش

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى النظر في جملة من القراءات والآليات المعاصرة التي دعا أصحابها إلى تطبيقها في قراءة النص الديني و إعادة قراءته و فهمه من جديد، بدعوى أن القراءات القديمة والمناهج الكلاسيكية لا تواكب العصر و لا تسير آخر النظريات اللسانية الغربية ونحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على هذه القراءات و الآليات المعتمدة في قراءة الخطاب القرآني.

وخلصت الدراسة إلى أن هذه الآليات المعاصرة لم تضيف شيئا جديدا مفيدا، بل اضطرب أصحابها في تطبيقها وفشلوا في ضبط مفهوم علمي دقيق و محدد لها، وفق الأسس و الأطر العلمية المتعارف عليها.

الكلمات المفتاحية: القراءة، المعاصرة، آليات التجديد، الخطاب القرآني.

Summary:

The aim of this study is to look at a number of contemporary readings and mechanisms that the authors called for to apply them to reading the religious text and to re-read it and to understand it again, claiming that the old readings and classical methods do not keep up with the times and do not follow the last occidental linguistic theories. Research highlight these readings and mechanisms adopted in reading the Quranic discourse.

The study concluded that these contemporary mechanisms did not add anything useful, but rather confused their owners in their application and failed to control the concept of scientific precise and specific to them, according to the foundations and scientific frameworks recognized.

Keywords: reading, contemporary, renewal mechanisms, Quranic discourse.

مقدمة:

إن موضوع القراءات المعاصرة للنص الديني عموما، والخطاب القرآني بخاصة، موضوع هام، يحتل الصدارة والاهتمام منذ بدايات النهضة في الفكر العربي، وكثرت الأسئلة والتساؤلات التي تطرح حول هذا النص وكيفية التعامل معه، خاصة بعد أن وفدت مناهج وآليات غربية حديثة، انقسم النقاد حولها إلى مؤيدين ومعارضين ومتحفظين، لأن هناك ثوابت وقواعد موروثية من الماضي تمثل زخما كبيرا من التصورات والنظريات والآراء والأفكار والأسس والمرتكزات، لا تقبل كل ما يفد بسهولة ...

فهذه المناهج والآليات التي وفدت إلينا من حضارة غيرنا، وفرضت علينا بالقوة، نجم عن ذلك صدمة فكرية قوية أحدثت شرخا واسعا في الآراء والمواقف والتعاطي مع هذا الوافد الجديد وكيفية التعامل معه وتطبيقه على النصوص

الدينية، من هذا المنطلق وبهذه المعطيات، كان حري أن تظهر مواقف فكرية اتجه ما هو حاصل فظهرت مشاريع فكرية لمفكرين وكتاب وفلاسفة ونقاد عرب ومسلمين تروم التغيير وتحب التجديد وتهدف إلى تجاوز المؤلف وما هو معمول به، هذا المؤلف يشكل التراث — التفسير التقليدي أو الكلاسيكي للنص الديني — فكان منطلق هذه المشاريع الفكرية، الموسومة بالتحديثية أو التجديدية، ومن أبرزها مشروع "محمد أركون" (2010)، و"نصر حامد أبو زيد" (2010)، و"محمد عابد الجابري" (2010)، وغيرهم الذين حاولوا إعادة قراءة الخطاب القرآني وفهمه من خلال تطبيق مناهج وآليات غربية معاصرة عليه.

وأردنا في عملنا هذا أن نبحث في هذه المشاريع والآليات والقراءات المعاصرة عموماً أين وصلت في أبحاثها ونتائجها؟ وماذا قدمت؟ وكيف تعاطى معها نقادنا؟ وما أثر تطبيقها على الخطاب القرآني؟ وماذا أضفت له؟ وكيف نظرت إليه؟...

وقبل البدء في شرح وتشريح هذه النقاط لابد لنا من الوقوف على بعض المصطلحات، وتوضيح بعض المفاهيم، فماهي القراءة؟ وما المقصود بالمعاصرة؟ وما هو الخطاب القرآني؟ .

هذه الأسئلة وغيرها تطرح نفسها بقوة في هذا البحث، لأنها بمثابة المفاتيح لهذا الموضوع المتشابك والواسع واخترنا البحث في هذا المجال لما له من أهمية كبرى، ومكانة هامة في الحياة الأدبية والفكرية، لأن موضوع "الخطاب القرآني الدراسات حولته كثيرة جداً، قديمة وجديدة ومتجددة في كل الأوقات والأزمنة لأنه يرتبط بحياة الناس وآخرتهم وعبادتهم و معتقداتهم وسعادتهم وشقاوتهم، فلا غرو أن يتناولوه المحب المنصف والحاقد الكاذب والشاك المرتاب، فالأول يستنير بنوره ويتلذذ بالبحث فيه ليزداد هداية ونورا وتوفيقا، والثاني يحاول جاهدا نزع القداسة التي أحيطت حوله، ومن ثم الولوج إليه مثل بقية النصوص، أو على الأقل قراءته مثل قراءة الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) ... والثالث يتأرجح بين جانبيين: فهو إما يبحث في نص له خصوصية و قداسة يجب أن تراعى عند أخذه وتناوله، أو أن يتجرد ويتحرر من هذه القداسة، وهذه الخاصية، وبالتالي فهو كمن دخل إلى بحر مظلم متلاطم الأمواج ولا يحسن السباحة.

ومنطلق كل هؤلاء إما تطبيق هذه الآليات والمناهج الغربية المعاصرة الوافدة إلينا، أو رفضها، أو الأخذ منها ما يتلاءم مع النص الديني ومراعاة خصوصيته و قداسته.

ماهي القراءة؟

مفهوم القراءة: مصطلح القراءة من المصطلحات التي تعددت مفاهيمها واختلفت، وفي تعريفنا لهذا المصطلح "القراءة" يمكننا أن نستغني عن معناه اللغوي لأنه " لا علاقة له بنفس اللفظ الموجود في المعاجم والقواميس العربية القديمة والحديثة (1)، لأن هذا المصطلح أو المفهوم "القراءة" المتداول بكثرة في الدراسات الحديثة هو ترجمة عربية لكلمة _ Le ctur _ الفرنسية، وانتقل هذا المصطلح إلى العربية من خلال التواصل والترجمة وفي سياق عملية المثاقفة .

واختلفت عبارات الباحثين الأكاديميين المهتمين بقراءة النص القرآني في ضبط وتعريف وتحديد معنى القراءة المقصود هنا، فكل واحد عرفها حسب فهمه ونظريته، فقد عرفت بأنها " استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم " (2)، وهناك من عرفها بأنها " تعني التفسير والتأويل " (3)، ومن خلال قراءتنا لكثير من هذه التعاريف المختلفة يمكن لنا أن نقول بأنها " معرفة وإطلاع على مختلف المذاهب الحديثة والنظريات المعاصرة في البحث والدراسة والنقد ونقد النقد... فهي بذلك آلية ومنهج لفهم القرآن الكريم فهما معاصرا يختلف عن فهم القدامى.

مفهوم المعاصرة :

وأما مصطلح المعاصرة، فمأخوذ من العصر، وله معنيان اثنان:

الأول: الدهر(4)، وهو الزمن المنسوب لشخص أو دولة أو نحو ذلك، ومنه عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (5).

الثاني: الوقت المعلوم الذي تؤدي فيه الصلاة، " صلاة العصر"، يقال هي الصلاة الوسطى(6)، والمعنى المناسب لكلمة "المعاصرة" الواردة في هذا البحث، هو المعنى الأول.

مفهوم القراءات المعاصرة:

المراد بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم، هي القراءات الجديدة في العصر الراهن، وسموا هذه القراءات بالمعاصرة تمهيدا لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للقرآن الكريم (7)، حيث عرفت بأنها "التوجيه الصحيح لدلالة الألفاظ والعبارات" (8)، ويعرفها البعض من جهة دور القارئ في إنتاج المعنى، فيرى بأنها "الإنتاج المستمر للمعنى، وهو مايقوم به القارئ وفق ظروفه العامة والخاصة" (9)، وتعرف بأنها "عملية مركبة ومعقدة بنية ووظائف، يقتضي إنجازها جهدا مديدا معمقا ومدعما بنتائج واحتمالات الاتجاهات التنهيجية المعاصرة" (10)، وذهب بعض الباحثين المعاصرين المهتمين بالنص القرآني إلى استعمال مصطلح "القراءة الحديثة" للتعبير عن هذا النوع من القراءة، وقد كتب الدكتور "العباقي" كتاب حمل عنوان "القرآن الكريم والقراءة الحديثة _ دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند أركون _" وأطلق آخرون مصطلح " القراءة الجديدة " حيث جعل الدكتور "عبد المجيد النجار" هذه العبارة عنوانا لكتابه الموسوم بـ " القراءة الجديدة للنص الديني " الصادر عن مركز الراهية للتنمية الفكرية سنة 2006م.

ووظف آخرون مصطلح "القراءة العصرية" وتحفظوا على مصطلحي : "القراءة الجديدة " و"القراءة المعاصرة" مبرزين ذلك بأن مصطلح "العصرية" يحمل إشارة واضحة، وتحديدًا دقيقًا في توجهات أصحابه، في حين أن المصطلحات الأخرى لا تحمل بالضرورة تلازما بين المفهوم والمصطلح، فليس كل قراءة جديدة أو معاصرة يحكم عليها بالعصرية(11).

ونقول سواء وصفت هذه القراءات بالجديدة أو المعاصرة، أو الحداثية أو بتحديد الدين، أو بتحديد التراث أو العصرية...

فهذه كلها مصطلحات مختلفة لظاهرة واحدة هي ظاهرة إعادة قراءة النصوص الشرعية بطريقة حديثة وهي تختلف بحسب كل قارئ وباحث وناقد، نظرا لخلفياته و منطلقاته ومرجعياته، فثم مناهج عديدة في هذه القراءات، لكنها تتفق على أصول كلية عامة، وتتفق في الدوافع والبواعث المحركة لها، ومن أهم هذه الدوافع أنه هناك إشكالات

دينية وثقافية في التراث، في نظر أصحاب هذه القراءات، سببت التأخر والركود والإعاقة للأمة العربية والإسلامية، وخاصة في الوقت الراهن الذي جعل الأمة تمر بمتغيرات ومستجدات هائلة ... ولأنه لا يمكن إزاحة هذا التراث كاملا بإزالته من الساحة الأدبية والفكرية، أو نفيه وإقصائه كلياً، أو إهماله وعدم الاهتمام به، فلا بد إذا من بدائل أخرى.. فما هو البديل إذن؟

البديل هو إيجاد آليات وأدوات أخرى أخذت مسميات براقة مثل "إعادة قراءة التراث (قرآن، سنة...)"، أو إعادة فهمه وتفسيره... تحت غطاء "القراءة المعاصرة"، وهذه القراءة طبعاً تختلف عن القراءات القديمة _التفسير الكلاسيكي للقرآن الكريم _، وتهدف هذه القراءات إلى إعادة قراءة النصوص الشرعية، وتقديمها بشكل مختلف عن ما هو مألوف ومتداول ومعروف.

لأن المنهج المتفق عليه بين هذه القراءات، هي تأويل النصوص التي ترى بأنها غير مرغوب فيها، وليتها وإعادة إنتاجها من جديد، لبيحتفي الجانب الإيجابي فيها، ويظهر الجانب الجديد.

ويبدو من خلال هذا التقديم أن القراءات المعاصرة تسير نحو ترسيخ بشرية النص القرآني، لاسيما وتلك مرحلة لا بد منها في نظر هذه القراءة، تمهيدا لقراءته بأدوات وآليات العلوم الإنسانية ومناهجها الغربية المعاصرة.

وهكذا يصبح للقارئ سلطة مطلقة على النص، يصرف بموجبها المعاني، ويلوي الدلالات، وبهذا النوع من القراءات له أن ينفي من النص ما توحى به القراءة، ويرد من دلالاته ما تردده تلك الوسائل، وله أن يقدم ما أراد ويرجى ما أراد من الدلالات والمعاني، ويستدعي من المناهج والأدوات ما يتفق ويتناسب مع فكره ويتلاءم مع المعنى الذي يرتضيه(12).

مميزات القراءات المعاصرة:

للقراءات المعاصرة للخطاب القرآني خصائص ومميزات منها:

1- هي القراءات التي تعتبر القرآن الكريم نصاً عادياً وظاهرة وخطاباً، ولا تميز بينه وبين غيره من النصوص الدينية والبشرية، حيث تعتبره ظاهرة، وتؤكد بتاريخيته وتقر بأنسنته... حيث يعتبره محمد أركون بأنه: «حادث لغوي وثقافي وديني»(13).

وحسب رأي أبو زيد فالقرآن الكريم هو جزء من الثقافة العربية لأنه من قبيل النص والمنتج الثقافي والخطاب، فالقرآن في نظره: «..رسالة والرسالة تمثل علاقة اتصال بين المرسل والمستقبل من خلال شفرة، أو نظام لغوي ولما كان المرسل في حالة القرآن لا يمكن أن يكون موضعاً للدرس العلمي، فمن الطبيعي أن يكون المدخل العلمي لدرس النص القرآني مدخل الواقع والثقافة، الواقع الذي ينتظم حركة البشر المخاطبين بالنص»(14).

2- القراءات التي تسعى إلى قراءة القرآن في إطار ما يعرف بظاهرة دينية، حيث تنفي خصوصياته واختلافه عن التوراة والإنجيل، وحتى عن النصوص غير الدينية أحياناً، وهذا ما ذهب إليه طه عبد الرحمن الذي جعل: « القرآن نصاً دينياً مثل أي نص ديني آخر توحيدياً كان أم وثنياً»(15).

3- القراءات التي تريد إحياء قراءات المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة للقرآن الكريم، في مقابل نقد القراءات المعارضة لها كما تبلورت عند الفقهاء ورجال الدين ككل، باعتبارها رمزا للتنوير و العقلنة في الحضارة العربية الإسلامية، حيث أشاد محمد أركون بالمعتزلة وكيفية تعاملهم مع النص القرآني، معتبرا مناهجهم بمثابة محاولة واعدة وئدت في مهدها من طرف الخطاب الرسمي إبان معركتها مع الحنابلة، كما أشاد الجابري بالمعتزلة حيث قال : « ينبغي الاعتراف بأن منهجية المعتزلة كانت تحتوي إمكان نظرية كامنة وواعدة »(16).

كما أخذ الجابري: « يشرح الفكر المعتزلي ويعتبره نموذج التفكير المتنور الذي دمج بين الشريعة والعقل »(17).

4- القراءات التي تسعى إلى التحرر من كل الخطوط الحمراء التي أقامها رجال الدين حول النص القرآني مثل الشروط التي يجب توفرها في المفسر والمجتهد... وباختصار هي القراءة التي تريد التحرر: « من الهيبة الساحقة للنص »(18).

حيث أنها تسعى إلى نزع القداسة عن النص، أو التعامل معه بحرية لا تحدها حدود أو قيود.

5- هي القراءة التي تريد الخروج والانفصال عن القراءة الكلاسيكية للقرآن الكريم التي كانت ولا تزال يقدمها الفقهاء والمفسرون للقرآن الكريم، فهي ثورة ونقد وتخط وتجاوز لكل القراءات السابقة.

إشكالية التجديد في قراءة الخطاب القرآني:

كثير من الدارسين يقولون أننا بحاجة إلى منهج تجديدي لقراءة النص الشرعي عموما والخطاب القرآني بخاصة فما فائدة هذا التجديد؟ هل هو الخروج بشيء جديد مطلب في حد ذاته ! أم المطلوب هو الوصول للدليل والحق، سواء كان مضمونه جديدا أم تقليديا؟ وهل التجديد عندهم يعني الخروج عن كل القراءات والمناهج القديمة؟ أم الخروج عن قراءات المفسرين القدامى بم في ذلك علماء القرون المفضلة وكل من سار على نهجهم ولو كان من المعاصرين؟ ولكن بغض النظر عن تحديد موقف هؤلاء المجددين من هذه الإشكاليات، فإننا نحاول تحديد مفهوم التجديد وبيان الأصل الشرعي في هذا الباب.

أ- مفهوم التجديد:

مصطلح "التجديد" يستمد أصالته الجوهرية من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(19).

ويبدو لنا أن التجديد في أصله ينقسم إلى قسمين:

- تجديد إحداث، وتجديد إحياء.
- فأما تجديد الإحداث: فهو يعني الخروج بفهم مخترع لدين الله يتناقض مع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة القرون الأولى المفضلة ومن سار على نهجهم، وهذا تجديد مذموم ومرفوض.
- وأما تجديد الإحياء: فهو إحياء ما اندرس من هدي الإسلام الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، وهذا هو التجديد المحمود والمقصود بالحديث النبوي الشريف.

ومفهوم تجديد الإحداث هو التجديد في قراءة الخطاب القرآني، أو هو دعوة عامة تشمل إحداث الألفاظ وإحداث المضامين، وإحداث مناهج القراءة، بل أن الإحداث في مناهج القراءة على خلاف ما كان عند المتقدمين، هو أخطر وأغلظ أنواع الإحداث، لأن إحداث منهج أو مناهج جديدة لقراءة النصوص الدينية وخاصة "القرآن الكريم" يصادم ويعارض مناهج المفسرين القدامى، بل ويؤدي ذلك إلى مسح وإزالة المأثور والموروث، وإزاحته، بل واستبداله بآراء وأفكار ومحاولات واتجاهات لم يتفق أصحابها عليها فضلا عن غيرهم، فآليات القراءة الحديثة اليوم متعددة ومختلفة فيما بينها، ولكنها تتفق حينما يتعلق الأمر بالخطاب القرآني، فهي تقوم بتوليد الدلالات، وليّ النصوص، وتأويلها، وفهمها على غير مراد الله تعالى، ومحاولة معرفة ما لم يعرفه الأقدمون من الفقهاء والمفسرين والأصوليين الذين تركوا لنا تراثا ثريا منظما ومنسجما ومتماسكا، أبحر الكثيرين، بفضل ثلة من العلماء والعباقرة شهد العام والخاص بحذقهم وبراعتهم وتقواهم وإخلاصهم، أودعوا في مؤلفاتهم وتصانيفهم كافة المعطيات : كطبيعة اللغة التي نزل بها القرآن، وتتبع أنماط أساليبهم في الدلالة، وأثر السياق الذي نزل فيه النص، وإقناع القارئ والمتلقي بأدلة وحجج وبراهين، واعتبار نصوص الشريعة وحدة متكاملة وبنية متماسكة قال الشاطبي: "فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة، يخدم بعضها بعضا" (20).

فهؤلاء درسوا مسائل الشريعة واللغة والنحو والصرف والبلاغة... مسألة مسألة، فرعا فرعا، وأدلى كل واحد منهم بدلوه فيما اختلفوا فيه، وأتى بحججه وآرائه، تأييدا لموقفه، فكان الاختلاف بينهم اختلاف بناء لا هدم، وإثراء وإضافة، لا إقصاء فيه ولا تهميش، فكثرت الحواشي والشروحات والاختصاصات والتعليقات... ومن أراد أن يتأكد فليتأمل موسوعات علماء الإسلام، مثل: "التفسير بكل أنواعها، وكتب الشعر والأدب والنحو والبلاغة وكتب الفقه والحديث والعقيدة والسير والتراجم... فمن نظر في مصنفات ابن أبي شيبة "و" التمهيد "و" الاستذكار " لابن عبد البر "و" المحلى " لابن حزم "و" المجموع " للنووي "و" المغنى " لابن قدامة "و" الخصائص " لابن جني "و" البيان والتبيين " للجاحظ "و" الكامل " للمبرد "و" العقد الفريد " لابن عبد ربه ناهيك عن المعاجم والقواميس وغير ذلك... يعلم قدر المجهودات التطبيقية الجبارة التي تتابع عليها المؤلفون والمفكرون والكتاب قرونا بعد قرون" (21).

وخلاصة القول أن التجديد المذموم يقوم على دعائمين أو محورين: إما استبعاد وبتر شيء من قداسة النصوص الشرعية، وإما أن يضاف إلى هذا النص ما ليس منه من المفاهيم والمعاني، والدعوة إلى تطبيق هذه المناهج على النصوص الدينية، أو الدعوة إلى إعادة قراءتها بما يعارض منهج السابقين هو دعوى إلى تجهيل وتضليل علماء القرون المفضلة في أهم المطالب، ومصادمة قطعيات النصوص في تقرير اهتدائهم وبصيرتهم، لأن هذه الدراسات الجديدة لا يقصد بها استيعاب جوانب الخلل، وإتمام الناقص، وإضافة ما لم يضاف، وإنما يقصد بها إدخال آليات جديدة هي في حد ذاتها غير مكتملة.

آليات الفهم المعاصر:

هي مجموع الأدوات والمناهج التي تبلورت بعد تطور الدراسات في مناهج النقد الأدبي، وتطور البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية... وطبقت في قراءة النصوص بأنواعها المختلفة دينية كانت أو فلسفية أو أدبية... في الفترة المعاصرة.

مفهوم الآليات:

الآليات جمع آلية، وتعني في اللغة:

قال علي بن محمد بن علي الجرجاني: الآلية هي "الواسطة بين الفاعل والمنفعل، في وصول أثره إليه، كالمنشار بالنسبة للنجار" (22).

ونستغني عن التعريفات الكثيرة لأنها متقاربة في المعنى، ونكتفي بهذا التعريف الذي أورده الجرجاني في كتابه "التعريفات"، وهكذا فالآليات هي جملة المناهج والقراءات والنظريات التي توصل إليها الفكر الغربي مؤخرًا وطبقها على النصوص المختلفة، أما عن علاقتها بالخطاب القرآني، فإنها تمثل المنهج المتبع في قراءة الوحي الإلهي، كنص وخطاب وظاهرة وتراث... وهي الواسطة في فهمه وإعادة قراءته "لأن المنهج هو الآلة التي يشرح بها المحلل جسم النص" (23)، إذن فالمنهج علم له قواعده وأسس، وله وظيفة معينة، تخضع لخطة وتسعى للكشف عن الحقيقة، وبدون منهج لا نصل إلى الحقيقة وتبقى معرفتنا للمادة العلمية ضئيلة، لأن غياب المنهج يعني غياب العلم، والمنهج الخاطئ يؤدي حتماً إلى نتائج خاطئة.

والمناهج النقدية لها دور كبير، وأهمية بالغة في الدراسات الأدبية، وهي كثيرة ومتعددة، تمثل مختلف وجهات النظر في التعامل مع الآثار الأدبية، وإن كنا نقتصر في دراستنا هذه على ذكر بعض المناهج فقط، نظراً لطبيعة البحث المختصر، وعندما نضيف إلى "المنهج" أو إلى "الآليات" كلمة "الفهم المعاصر" فإن هذا التركيب يحيل إلى مدلولات ومعاني يهدف المخاطب إلى تبليغها لنا اليوم، لأن الفهم هو "تصور المعنى من لفظ المخاطب" (24) و"المعاصر" من العصر (25) اليوم، ويمكن أن نحدد العلاقة بين آليات الفهم المعاصر والقرآن الكريم انطلاقاً من أنها تمثل:

- مجموع الأدوات والوسائل التي انتهجتها ما تسمى بالقراءات المعاصرة أو الجديدة أو الحداثية للقرآن الكريم والتي استقتها من مناهج النقد الأدبي المطبقة في فهم النصوص بأشكالها المختلفة، ودراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية اليوم، وعلى رأسها تلك التي تتخذ طابعاً دينياً مقدساً.
- أنواعاً مختلفة من المناهج استخدمها الفكر البشري في الفترة المعاصرة في قراءة النصوص، من الصعب حصرها وعدّها، لأنها تمثل كل المناهج والعلوم الجديدة التي تعمل على فهم القرآن الكريم فهماً جديداً ومغاييراً للفهم الكلاسيكي له، حيث يكون مواكباً للعصر مسائراً لمستجداته.
- جملة من الدراسات المعاصرة للنص القرآني تقوم على تحليله تحليلًا بنيويًا وفينومولوجيًا هرمينوطقيًا وتفكيكيًا وسيميولوجيًا وأثروبولوجيًا... خارج أسوار القداسة والتبجيل (26).

أنواع آليات الفهم المعاصر:

آليات الفهم المعاصر للنصوص وخاصة للخطاب القرآني لها أنواع كثيرة، فبعد التطور الحاصل في مناهج النقد الأدبي وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية تبلورت دراسات معاصرة للنص منها:

أ- **الدراسة البنيوية واللسانية:** وهي ترتبط بمدرسة لغوية معاصرة لها فروع ومدارس متعددة أهمها مدرسة براغ و كوبنهاغن، والبنيوية الأمريكية، والتداولية، وعلاقتها بالنص تحديداً، يكمن في وجود فرع قائم بذاته هو: "اللسانيات النصية" التي تهتم بدراسة بنية النصوص وكيفية اشتغالها، وذلك من مسلمة منطقية تقضي بأن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة لغوية نوعية، ميزتها الأساسية الإنسان والترابط" (27).

وقد استفاد منها الكثير من المشتغلين على النص القرآني في إطار فهمه كنص لساني وفي مجال تأويله كأركون في قوله بالدراسة الألسنية لمختلف سور القرآن الكريم، والجابري الذي استند عليها في منهجه البنيوي في طرح جديد لترتيب سور القرآن الكريم حسب أسباب النزول.

ب- **الدراسة الهرمنوطيقية: -التأويلية-:** والتي تعد من أهم الآليات المعاصرة في قراءة النص القرآني حيث بنى عليها كثير من المفكرين "مشاريعهم الفكرية مثل محمد أركون وحسن حنفي، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد عابد الجابري... كل واحد منهم يحاول قراءة التراث العربي مستعينا برؤى معاصرة" (28).

ونال الخطاب القرآني الحظ الأكبر من هذه الدراسة الهرمنوطيقية التي تسعى إلى تحديد وفهم الخطاب القرآني وتعمل على كشف الباطن الذي حظي بأهمية منذ القديم في تفسير القرآن الكريم، فهي أداة لقراءة النصوص ولا سيما المقدسة منها، تقوم في جوهرها على فك رموزها وتبليغها للبشر، ويمكن أن نقول عنها بأنها "فن الفهم وتأويل النصوص" (29) وهي اليوم أهم الآليات المعاصرة في قراءة النص القرآني تهتم بالدراسة التأويلية له، وبما أنها تحول النص إلى خطاب أي عملية تفاعل بين مرسل ومتلقي بواسطة شفرة معينة، ولا شك أن هذه الخصائص والمميزات تؤثر لا محال عند تطبيقها على النص القرآني لأنها تحوله إلى فضاء دلالي ومجال للفهم يتميز بالتاريخية والنسبية لا يمكن احتكار وتحديد فهم ثابت له، فهي تسعى إلى أنسنته وزحزحة قداسته، وهذا ما عمل عليه المشتغلون بها وعلى رأسهم "أبوزيد" و "حسن حنفي".

ج- **الدراسة السيميولوجية:** وهي التي ترتبط في مفهومها العام بمفهوم العلامة -Signe- وهي تمثل علما جديدا لم يتفق المختصون المهتمون بهذا المجال من تحديد تعريف لهذه الدراسة، حسب الأسس العلمية والإبستمولوجية التي يعتمد عليها كل مفكر وناقد، ومن أهم المفكرين الذين دعوا إلى القراءة السيميائية للخطاب القرآني "أركون" الذي جعلها أحد أهم القراءات الحداثية للخطاب القرآني، التي بموجبها يتم التحرر من هالة التقديس والتبجيل التي ألحقت بالنص القرآني وفرضها الإيمان الموروث، كما استعان بها "أبوزيد" وغيره في قراءتهم للخطاب القرآني .

د- **الدراسة التفكيكية:** وتعتبر من أهم المناهج النقدية والآليات التي ظهرت في الفترة المعاصرة، ودعا إليها. "محمد أركون" وألح على تطبيقها على الخطاب القرآني، وفي فهم النصوص التراثية، والتفكيك ممارسة نقدية متكاملة تجمع بين مناهج مختلفة، فهي بمثابة النقد التكاملي للنص، ومن خلال التفكيك أصبح النص القرآني مجالا

للمحتجب، وفضاء دلاليًا للمسكوت عنه، فهو يتجاوز ثنائية الظاهر والباطن التي تهتم بها التأويلية، والتي سيطرت على النص القرآني.

فالتفكيكية هي استنطاق كل ما همش واستبعد ووقع في مجال اللامفكر فيه في الخطاب القرآني حسب "أركون" و"علي حرب"... فالتفكيك يتجه إلى المسكوت عنه أو المنسي أو المهمش في حقل الرؤية" (30) وفي فهم الخطاب القرآني خاصة، وفهمه حسب رؤية كل ناقد ومفكر.

هـ- آليات ودراسات ومناهج أخرى:

لا يمكن حصر آليات الفهم المعاصر في الآليات السابقة الذكر فقط، بل هناك علوم ومناهج متعددة أخرى كثيرا ما تتداخل مع المناهج السابقة، دعا الكثيرون إلى تطبيقها في مجال قراءة النص الديني والخطاب القرآني بخاصة منها:

■ الدراسة الأنثروبولوجية، والدراسة الفينومونولوجية، والدراسة الأركيولوجية، وعلمي تاريخ الأديان، والمقارنة بين الأديان، وأهم هذه الدراسات هو "منهج تحليل الخطاب" الذي يعتبر أوسع وأشمل آليات فهم الظواهر وتحليل النصوص التي ظهرت في الفترة المعاصرة.

وخلاصة القول، نقول أن هناك أنواعا مختلفة ومتعددة من آليات الفهم المعاصر، ظهرت بسبب التطور الحاصل في مناهج قراءة النصوص، أدبية كانت أو فلسفية أو دينية أو اجتماعية... وأهتم كثير من روادها بالخطاب القرآني وحاولوا إعادة قراءته وفهمه، من خلال بناء تصور جديد له، يتجاوز ويتخطى تصوره كوحي إلهي منزل متعال وغيب (31).

الخاتمة:

من خلال هذا البحث الموجز، نستنتج أن آليات الفهم المعاصر للخطاب القرآني على كثرتها واختلافها وتنوعها، إلا أن كلها تهدف إلى:

- نقل الخطاب القرآني من مستوى إلى آخر مقابل له: نقله من الغيب إلى الظاهر، ومن التعالي إلى المحايثة ومن القداسة إلى الأنسنة... وهذا بإلحاق بعض المفاهيم والمصطلحات الجديدة كوصفه: نصا، وظاهرة، وخطابا... يمكن تحليله وتفكيكه، ودراسته كما تدرس جميع النصوص والظواهر.
- جعل الخطاب القرآني فضاء دلاليًا متنوعا، ومنتجا ثقافيا.
- التأسيس لرؤية جديدة للخطاب القرآني لا تميز بين نصوصه والنصوص البشرية، و الدينية الأخرى كنصوص العهدين، القديم والجديد.
- نزع وتحطيم سياج القداسة الذي أحاط بالخطاب القرآني، وعدم اعتباره ظاهرة غيبية متعالية ومقدسة.
- القول بتاريخية وأنسنة النص القرآني وهذا ما يربطه بالواقع والتاريخ.
- وصفه بالخطاب القرآني، لا لكونه خطاب منزله، وإنما لغرض استعمال الأدوات التقنية والمنهجية المعاصرة في فهمه، والتي تدخل في منهج تحليل الخطاب على وجه الخصوص.

*قائمة المصادر والمراجع:

- 1) عبد الرزاق هرماس، قضية قراءة النص القرآني، بحث مرقوق لم ينشر بعد، ص 06.
- 2) محمد محمود كالو، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، ط 1، 2009م، دار اليمان، سوريا حلب، ص 56.
- 3) عبد الرزاق هرماس، المرجع السابق، ص 4.
- 4) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط 5، 1420هـ، 1999م، ص 343.
- 5) محمد رواس قلجعي، وحامد صادق قنيني، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1408هـ/1988م، ص 314.
- 6) ابن منظور، لسان العرب، مادة "عصر" دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، ج 4، ص 575.
- 7) محمد محمود كالو، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، ص 57.
- 8) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب بيروت، ط 7، 2008م، ص 109.
- 9) عبد المجيد الشريفي، لبنان، (ضمن سلسلة: معالم الحداثة)، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1994م، ص 10.
- 10) طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دار الينابيع طباعة نشر وتوزيع، دمشق ط 2، 2008م، ص 39.
- 11) رقية طه جابر العلواني، قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة بحث ألقى في ندوة دراسة تطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة بيروت، 11، 12 شباط، 2006م، ص 20، هامش: 49.
- 12) عبد الوالي بن عبد الواحد الشلفي، القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي.
- 13) ARAKOUN MOHAMED_La pensée Arabe Presse Universitaires de France, Première édition, 1975, P07.
- 14) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، ط 6، 2005م، ص: 24.
- 15) طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2009م، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، ص 183.
- 16) زهرة أحمد علي، العقل العربي، بنية وبناء، دراسة نقدية لمشروع الجابري، دط، دت، دار العرب، ص 130.
- 17) طه عبد الرحمن، روح الحداثة، المرجع السابق، ص 176.
- 18) أركون محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ط 03، 2006م، دار الساقي، بيروت، لبنان، ص 13.
- 19) أبو داود، السنن (الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: مصطفى حميدة دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ، ص 4291.
- 20) الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم الحلاي، دار ابن عفان، ط 1، 1412هـ، ج 1، ص 312.
- 21) إبراهيم ابن عمر السكران، مآلات الخطاب المدني، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط 1، 1435هـ، الرياض، ص 337، 338.
- 22) علي بن محمد بن علي، الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط 4، 1418هـ - 1998م، ص 34.
- 23) المنصف عيد الجليل، المنهج الأنثروبولوجي في دراسة مصادر الفكر الإسلامي الأول، مقال، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الأنماط القومي، بيروت لبنان، ما وراء اللغة مقاربات لا سلفية في السلفية العدد 68، 69، 1989م، ص 32.
- 24) الجرجاني، التعريفات، المرجع السابق، ص 150.
- 25) ابن منظور، لسان العرب، ص 535.
- 26) حمادي هوار، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، السنة: 2012/2013م، ص 42، 43.
- 27) الصبيحي محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات التطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط: 01، 2008م، ص 59.
- 28) بومدين بوزيد، الفهم والنص، دراسة في المنهج التأويلي عند شلير ماهر ديلتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط 1، 2008م، ص 64.
- 29) عادل مصطفى، مدخل إلى المهرمنوطقية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ط 1، 2003م، ص 18.
- 30) حرب علي، المتنوع والمتنوع، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط 4، 2004م، ص 67.

31) ينظر: حمادي هوارى، النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، ص58، 59.